جامعة تكريت

كلية التربية للعوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المادة : نظرية الأدب

المرحلة : دكتوراه أدب

عنوان المحاضرة

نظريات القراءة والتلقي ج1

أ.د. نرجس خلف أسعد

نظريات القراءة والتلقي

مدخل :

ارتبطت القراءة بالكتابة ارتباطاً وثيقاً ، فمع ظهور عصر التدوين والكتابة بدأت القراءة تشهد حراكاً ثقافياً ، وإن كانت خطواتها متعثرة بعض الشيء . ففي عصر الشفاهة والإلقاء لم يكن هناك قارئٌ ولا متلقٍ بالمعنى الحديث للمتلقي ، فالمتلقي في عصر الشفاهة والإلقاء كان دوره منحصراً في تسلّم ما يبثه الشاعر من كلام متأثراً بطريقة إلقائه ، فهو يحزن لحزنه ، ويتعجب لتعجبه ، ويغضب لغضبه ..... ، فالمؤلف هو المسيطر الوحيد في الساحة الأدبية ، إذ يتلاعب بالنص حسب ما يريد وكيف يشاء بحسب طريقة تنغيمه .

بقيت هذه الحال بالنسبة للشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن ، بقي الإلقاء والسماع ملازماً للعرب ، فالقرآن الكريم أُخذ في بادئ الأمر سماعاً وتلاوةً حتى بعد الشروع بتدوينه ، فبقي الإلقاء ملازماً للعرب في الشعر والقرآن ، إذ ظلت عملية التلقي عند العرب مرتبطة بالإلقاء والسماع ، وهذه ميزة تسجل للعرب بحسب د. مبارك ، إذ يرى أن ((للعرب ميزة في نظرية التلقي ، قد تجعل للأدب العربي افتراقاً عن بعض الآداب الأُخر .... وهذه الميزة مستمدة من عاملين أساسيين : الأول : القرآن الكريم ، إذ أوجد نوعين من التلقي أحدهما مرتبط بالآخر ، هما التلقي الشفاهي والقراءة .... فالإنصات لتلاوة القرآن الكريم هو تلقٍ شفاهي .... الآخر هو الشعر ، والشعر العربي ينشد ويغنى ، أي أنه بحاجة الى متلقٍ شفاهي ... فالإنشاد يكاد يصبح جزءاً من بنية الشعر ... .))[1] .

بقيت الشفاهة والإلقاء ماسكين بزمام الأدب حتى بدء عصر التدوين والكتابة ، سواء في الأدب العربي أم في آداب الأمم الباقية ، وبدأت القراءة مع التدوين والكتابة ، إلا أن القراءة لم تحظَ بنصيب وافر في ساحة النقد الأدبي ، إذ بقي المؤلف متحكماً بالأدب لعصور طويلة مرة بظروفه التاريخية والاجتماعية وانعكاساتها على الأدب والنتاج الأدبي ، ومرةً بعقده النفسية ولا شعوره الجمعي وأحلامه التي يرى صاحب النظرية (فرويد) أن لها تأثيراً في الأدب بشكلٍ أو

---

(1) استقبال النص عند العرب ، د. محمد المبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1999 / 284 – 285 .

بآخر حتى جاءت البنيوية بمدارسها المختلفة لتنحي المؤلف بعيداً عن الساحة النقدية وتنصب النص ملكاً في الساحة النقدية ، فموت المؤلف أحيا النص إلا أنه لم يحيِ القارئ كما يتمنى .

جاءت نظريات القراءة والتلقي لتفتح الباب على مصراعيه للقارئ / القراء ليتعددوا بقراءاتهم ويتنوعوا فيها ، وهذا لم يحصل بسهولة أو عفوية لان فعل القراءة يطرح ((في إطار بنية قوامها الذات القارئة والنص المقروء والمؤلف صاحب النص والعالم الذي يوجد فيه والعالم الذي يتوجه إليه الفعل والمستمع والمتابع والحاضر والغرض الذي بشأنه انطلق الفعل والمعنى المخبوء في النص . تتطلب القراءة الحضور الذهني والتركيز حتى تنتقل من مرحلة المشافهة والارتجال والنطق العفوي والتصويت العالي إلى وضع الأداء والإتقان والشعرية والإيحاء))[1] 0فالنص لم يعد ذلك الكائن الساكن على الورق ، الذي يكتفي بما يقوله المؤلف أو يوحي به ، بل أصبح كائناً متحركاً يقدم في كل قراءة معنىً جديداً ، ومن ثَمَّ ((فإن الأثر الذي يحدث عند كل قراءة هو أثر يحدث للمرة الأولى . إننا لا نقرأ أبداً نفس النص مرتين))[2] ، بل نحن نقدم في كل مرة قراءة جديدة ، فلم يعد القارئ ذلك المستهلك الكسول الذي يستهلك ما يلقيه عليه النص أو المؤلف ، بل ((أصبح هذا القارئ طاغيةً جديداً تشكل استجابته للنص نسيج الموقف النقدي برمته))[3] .

منذ بداية السبعينات من القرن الماضي بدأ عصر جديد للنقد اعتمد فيه على نقد استجابة القارئ ، فالساحة النقدية باتت ملكاً للقارئ يتنقل فيها بعد أن كان متفرجاً فقط ، فظهر ما يعرف بنظريات القراءة والتلقي ، أو نظرية الاستقبال على يد اثنين من أبرز أعضاء مدرسة كونستانس الألمانية هما : "هانز روبرت ياوس" و" فولفغانغ إيزر" .

مدرسة كونستانس الألمانية وأبرز أعلامها

بعد أن كان اهتمام الدارسين منصباً على كشف الروابط القائمة بين النص ومبدعه ، أو على بيان الروابط التي تربط بين البنى المكونة للنص ، راح أتباع مدرسة كونستانس الألمانية ينادون

---

(1) فعل القراءة بين انتاج المعنى وجمالية التلقي ، زهير الخويلدي ، 3/أغسطس / 2009 .
(2) نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، د. حسن مصطفى سحلول ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 / 94 .
(3) الشعر والتلقي .. دراسات نقدية ، د. علي جعفر العلاق ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط1 ، 1997 / 64 .

بدراسة العلاقة بين القارئ والنص ، فالأمر المهم في ألمانيا ((ليس التركيز المكثف على العمل الأدبي أو الجذور اللغوية والتشعبات ، بل التحول في نقطة الأفضلية إلى العلاقة بين القارئ – النص بتوسيع مفهوم الشكل ليشمل الإدراك الجمالي ، بتحديد عمل الفن و" وسائله " وبتوجيه الاهتمام إلى إجراءات التفسير ذاتها))[4] ، على العكس من الشكلانيين الروس الذين اهتموا بمكونات الأعمال الأدبية ، لكن هذا لا ينفي تأثر بعض أعضاء مدرسة كونستانس الألمانية بمبادئ الشكلانيين الروس ، إذ تبنى ياوس فكرة الشكلانيين لتسلسل الأدب زمنياً ، وركز اهتمامه على ثلاثة أشكال من المناقشات الشكلانية ، الأولى استخدام مبادئ تسلسل التطور في التاريخ الأدبي . الثانية هي أن تاريخ الشكلانية يحد من السيطرة الغائية التي تعتمد عليها غالبية التواريخ الأدبية . أما الثالثة فهي أن الجدة تفترض معياراً جمالياً وتاريخياً ، فإن تاريخ الأدب الشكلاني جمع الدلالات التاريخية . وهكذا توافق مع الخصومة التي كان ياوس معنياً بها .[1]

إذا أردنا أن نحيط بتفرعات وتشعبات النظرية التي تعددت مسمياتها بين نظرية الاستقبال ، أو نظرية التلقي ، أو نقد أستجابة القارئ ، أو نظريات القراءة والتلقي ، التي ينصب اهتمامها على القارئ والتركيز على دوره الفعال كذات واعية لها النصيب الأوفر من النص وإنتاجه وتداوله وتحديد معانيه ، فإن هذا المبدأ هو الذي يوحد التسميات ، كما يوحد تفرعات النظرية وتشعباتها ، فضلاً عن توحيد المنتسبين إليها .

تتفرع نظرية التلقي إلى منهجين رئيسين : يهتم الأول بـ " علم جمال التلقي " ويمثله هانز روبرت ياوس ، ويهتم الثاني بـ " فرضية القارئ الضمني " ويمثله فولفغانغ إيزر .

هانز روبرت ياوس

حاول ياوس أن يضع حداً فاصلاً بين الانقسام الماركسي والشكلاني الدائر حول الأدب من منظور القارئ أو المستهلك ، إذ يرى ياوس في نظريته (جمالية الاستقبال) أن الجوهر التاريخي لأي عمل فني لا يمكن بيانه أو اكتشافه من خلال فحص عملية إنتاجه أو مجرد وصفه ، بل يجب أن يدرس على أساس علاقة جدلية قائمة بين الإنتاج والتلقي . فالأدب والفن لا يصبح

---

(4) نظرية الاستقبال .. مقدمة نظرية ، روبرت سي هولب ، ترجمة : رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية – سوريا ، ط2 ، 2007 / 41 .
(1) نظرية الاستقبال / 177 .

لهما تاريخ له خاصية السياق إلا عندما يتحقق تعاقب الأعمال ، لا من خلال الذات المنتجة فحسب ، بل من خلال الذات المستهلكة كذلك، أي من خلال التفاعل بين المؤلف والجمهور[3] . فالعمل الأدبي لا يمكنه الاستمرار أو الحياة من دون جمهور يتفاعل معه ويتناول معه الآراء ، وعليه ((فإن التاريخ الأدبي هو تاريخ جماهير القراء المتعاقبة أكثر من تاريخ العمل الأدبي بحد ذاته))[1]

انصب اهتمام ياوس بشكل أساسي نحو نظرية الاستقبال عبر اهتمامه بالتاريخ الأدبي ، كما تحاول النظرية ((أن تعيد قراءة الموروث الأدبي والإبداعي من خلال التركيز على ردود أفعال القراء وتأويلاتهم للنصوص وانفعالاتهم وكيفية تعاملهم معها أثناء التقبل وطبيعة التأثير التي تتركها نفسياً وجمالياً لدى القراء عبر اختلاف السياقات التاريخية والاجتماعية)) [2] ، كما نلاحظ أن تفحصه لتاريخ الخبرة الجمالية قد تطور ضمن المعالجة التاريخية الشاملة ، إذ الأعمال الفردية لها وظيفة تصويرية رئيسة .

فولفغانغ إيزر

بينما كان ياوس منكباً على دراسة أبعاد التلقي التاريخية ، فإن إيزر كان مهتماً بدراسة أثر النص الأدبي على القارئ ، فهو يرى أن ((مهمة النقاد ليس شرح النص من حيث هو موضوع ، بل شرح الآثار التي يخلقها النص في القارئ)) [3]. فدراسة العمل الأدبي يجب أن لا تهتم بالنص الفعلي فقط ، بل يجب أن نركز وبالدرجة نفسها على الأفعال التي تتضمنها الاستجابة لذلك النص .

فالنص لا يقدم كل شيء ، بل يكون تجليه التام من خلال فعل الإدراك ، وعليه فإن للعمل الأدبي قطبين هما : ((القطب الفني والقطب الجمالي ، الأول هو نص المؤلف ، والثاني هو

---

[3] نظرية التلقي .. مقدمة نظرية ، روبرت هولب ، ترجمة د. عز الدين إسماعيل ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط1 ، 1994 / 152 .
[1] نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها / 10 .
[2] مصطلحات أدبية : نظرية التلقي ، شبكة النبأ المعلوماتية / 5 .
[3] النظرية الأدبية المعاصرة / 171 .

التحقق الذي ينجزه القارئ . في ضوء هذا التقاطب يتضح أن العمل ذاته لا يمكن أن يكون مطابقاً لا للنص ولا لتحققه ، بل لا بد أن يكون واقفاً في مكان ما بينهما))[4].

إن الموقع الفعلي للعمل يقع بين النص والقارئ ، وذلك نتيجةً للتفاعل بين الاثنين ، وعليه لا يمكننا أن نركز النظر على جانب واحد منهما . فالعلاقة بين النص والقارئ تسير باتجاهين لا اتجاه واحد ، فهي تتجه من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص ، فالقارئ يعقد ميثاقاً مع النص يتأثر به ويؤثر فيه ومن خلال هذا التأثر يستمر النص بالحياة ،((إن الالتقاء بين النص والقارئ هو الذي يحقق للعمل وجوده ، ولا يمكن لهذا الالتقاء أن يعين بدقة ، ولكن يجب أن يبقى دائماً التقاءً فعلياً ، كما لا ينبغي أن يماثل بحقيقة النص أو بالمزاج الفردي للقارئ))[1]. فتجربة القارئ في القراءة تمثل البؤرة الرئيسة في العملية الأدبية ، فكل قارئ يرى في النص تجربته الخاصة ، فيحول النص إلى تلك التجربة محاولاً التوفيق بين ما يختلج من تناقضات ووجهات نظر مختلفة ، وبين ملء الفراغات التي تنتشر على جسد النص .

---

[4] فعل القراءة .... نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) ، فولفغانغ إيزر ، ترجمة: د . حميد لحمداني – و د. الجلالي الكدية ، مكتبة المناهل فاس ، 1994 / 12 .

[1] نقد استجابة القارئ ... من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية ، جين ب . تومبكنز ، ترجمة : حسن ناظم – و علي حاكم ، مراجعة وتقديم : محمد جواد حسن الموسوي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1999 / 113 .